



\*Corresponding author:

**Dr.Muna Eessa Hashem**

University: Wasit University

College: college of basic  
education

Email:

[munaeesa@uowasit.edu.iq](mailto:munaeesa@uowasit.edu.iq)

**Keywords:**

Tropador poetry - Abbasid  
Ghazal – moral qualities-  
features of troubadour poetry.

**ARTICLE INFO**

**Article history:**

Received 1 Dec 2022

Accepted 22 Dec 2022

Available online 1 Jan 2023

**Women,as study in the features and chacteristics  
of the Troupador poets and the Abbasid  
Ghazal poets**

**A B S T R U C T**

The researcher intended to study a poetical psyche subject. It presented the image of woman as study in the features and chacteristics of the Troupador poets and Abbasian Lisle. the last studies were enough to show the effect of the Andulusian Mouashahat and Al-Zajal in the Troupador poetry subjects, The searcher tried to show the effect of eastren Arab on the European society through making a balance between Patonic Love subjects in Abbasian Era and Troupador poets to approve that its roots are Arabian origin and it has identical thoughts and directions.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/>

**المرأة، قراءة في الخصائص والسمات عند شعراء التروبادور وشعراء الغزل العباسي**

م.د منى عيسى هاشم / قسم اللغة العربية/ كلية التربية الأساسية/ جامعة واسط  
**الخلاصة:**

تروم الباحثة دراسة موضوع شعري وجداني وهو المرأة دراسة في الخصائص والسمات عند شعراء التروبادور وشعراء الغزل العباسي ، اذ اكتفت الدراسات السابقة بالإشارة الى تأثير الموشحات الأندلسية والازجال في موضوعات شعر التروبادور وتأثرهم كذلك بالغزل العذري ، فأثرت الباحثة تلمس تأثير المشرق العربي على المجتمع الأوروبي من خلال عقد موازنة بين موضوعات الغزل في العصر العباسي وشعراء التروبادور لتثبت أن الثاني جذوره عربية الاصل ، يحمل الفكر والاتجاهات نفسها .  
**الكلمات المفتاحية:** شعر التروبادور- الغزل العباسي- الصفات المعنوية- سمات شعر التروبادور

المرأة في كل العصور أيقونة معادلة لمعنى الحياة، وقد شغلت حيزا موفورا - لم يكن لغيرها - في فضاءات الشعر الممتدة عبر العصور ، فهي حاضرة في قصائد شكلت موضوعها ، فأصبحت جزءا من نسيج القصيدة ولاسيما القصيدة الغزلية ، ومن هنا جاء اختيار موضوع البحث ليطل على عالم الشرق والغرب وقد جمعهما موضوع وجداني واحد يرتبط بصورة المرأة المتغزل بها لدى شعراء التروبادور وشعراء الغزل العباسي.

إن الدراسات السابقة أكدت تأثير الموشحات والأزجال الأندلسية على شعر شعراء التروبادور ، وهي قد تركت أثرا واضحا ولكننا لسنا بصدد الحديث عن ذلك ، كما أن هناك دراسات كثيرة أشارت إلى وجود تأثير واضح بموضوعات الغزل العذري لدى هؤلاء الشعراء وقد يكون من البديهي أن نقول أن التأثير والتأثر من القضايا المهمة التي لا يسلم منها أدب من الآداب ، ثم أن تأثرهم بالشعر العباسي لا يحتاج إلى حجة حتى نسلم به ، لذا ارتأينا عقد موازنة يسيرة بين خصائص وسمات غزل شعراء التروبادور وبين شعراء الغزل العباسي لنلمس مدى تأثرهم بصورة المرأة لدى شاعر الغزل العربي .

ضمّ البحث تعريفا بمصطلح (التروبادور) واشتقاق الكلمة ثم تلمس البدايات الأولى من خلال الإطلاع على الدراسات السابقة والوقوف على أهم الموضوعات لديهم ثم دراسة صورة المرأة لدى شاعر التروبادور ومدى تماثلها أو اختلافها عن صورتها في الغزل العباسي. وفي كل هذا حاولنا الاكتفاء بنصوص مترجمة في كتاب الباحثة الدكتورة (ناجية مراني - الحب بين تراثين) إذ لحظنا أن ترجمتها امتازت بالدقة و وضوح العبارة ، أما النصوص العربية فكانت أغلبها لشاعر الغزل العفيف (العباس بن الأحنف) وهو من شعراء القرن الثاني لكونه قد أفرد ديوانا كاملا في الغزل ولم ينظم غيره من الأغراض الشعرية، و استعنا كذلك بنصوص شعراء القرن الثالث والرابع الهجريين ممن توافقت نصوصهم الغزلية مع نصوص شعراء التروبادور ، لنصل إلى نتيجة مفادها أن جذور الغزل التروبادوري عربية الأصل ، وأن صورة المرأة تكاد تكون واحدة عند الاثنيين لولا بعض الاختلافات التي اقتضتها سلطة البيئة.

### التعريف بمصطلح التروبادور:

وهو من المصطلحات المهمة التي تحمل أكثر من دلالة إذ أنها حظيت بكونها تدل على صفة الاختراع والإبداع، فهي حرفيا تعني (المبدع المخترع) و Tropador تعني أبداع واخترع ، أي أبداع العبارات الجميلة ومن ثم انتقلت تلك الدلالة إلى دلالة تكاد تقترب من دلالتها السابقة، فأطلقت على الشعراء الجوالين الذين

يتغنون بأشعارهم أو الذين ينظمون أشعارا في رحلاتهم، ولم تتوقف الكلمة عند هذه الدلالة بل صارت تطلق على كل من يقرض الشعر. (ينظر: عباس، 2014: 8) ويرى بعض الباحثين إن أصل الكلمة يعود إلى (طرب) أي (غناء) كما يطلق عليه في الأندلس، ثم أضيفت لها الكلمة اللاتينية (المغني)، في حين رأى البعض منهم أن الكلمة تحريف لـ (دور الطرب) مع تقديم الصفة على الموصوف كما هي العادة في اللغات اللاتينية. (ينظر: مراني، 1985: 12) ولا شك أن حركة الشعراء الجوالين قد استمدت طبيعتها من عادات العرب الذين اتصفوا بالترحال والتردد على الأسواق الأدبية التي يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام كسوق عكاظ ومن ثم سوق المربد في العصر الأموي وفيها كانوا ينشدون الأشعار. وهذا يعني عدم اقتصارها على زمان أو مكان محددين، ولا يمكن حصرها في عصر دون آخر.

نشأ الشعر التروبادوري في مقاطعة (بروفنس) في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وكانت أغلب موضوعاته تدور حول تمجيد المرأة وإجلالها والدفاع عنها، نشأ هذا النوع على يد شعراء جنوب فرنسا ونظموه باللغة الاوكسيتانية أي لغة أهل الجنوب التي عارضوا بها اللغة اللاتينية (لغة الكنيسة) وكان هذا الشعر في الواقع لا يعكس تقاليد المجتمع الأوروبي آنذاك وهو غريب تماما عن الأوروبيين، لكنه قريب جدا من الشعر الأندلسي وخاصة الموشحات والأزجال في أشكالها ومضامينها، إذن السؤال الذي يطرح نفسه هو: من أين استقى هذا النوع من الشعر مصادره وخصائصه الجديدة؟

إن شعراء التروبادور شعراء متجولون يدورون في البلاد، ينتقلون من قصر إلى قصر، ومن بلاط إلى بلاط في جنوب فرنسا، ينشدون أغاني الحب على وقع الآلات الموسيقية، ويمتاز هذا الحب بعذريته، يصف فيه الشاعر الحب من أول نظرة ومحاولته لاسترضاء الحبيب وحلاوة الوصل ولذته وخضوعه للمرأة التي يحب.

هذا الحب لم يكن يعكس واقع المجتمع الغربي في ذلك الوقت، واستحدثاته يمثل ثورة فكرية في وجه الكنيسة التي عدته خروجاً عن تعاليمها إذ جاء هذا الحب بلغة بروفنس العامية المنبثقة من الجماهير ليزيح مفهوم الحب لدى الكنيسة والمتمثل بمحبة المسيح ومريم العذراء، لذا وقف رجال الدين بوجهه وعزموا على القضاء عليه، وقد بلغ عدد هؤلاء الشعراء خمسمائة شاعر، كان من بينهم الملوك والأمراء والنبلاء، استطاعوا بمرور الزمن الانتقال من طور النشأة إلى طور تشكّل هوية لهذا الشعر والانتشار والتطور في أنحاء أوروبا التي كانت تتطلع إلى عصر النهضة الذي بدأت تبشيره في القرن الثاني عشر، وقد استمد هذا الشعر ألحانه من الجماهير فهي قاعدته الواسعة، لينظم بها قصائد شعرية ويردّها إليهم لتغذي قلوبهم وتهذب طباعهم، وهذا هو سر خلودها إلى يومنا هذا. (ينظر: نميش، 2016: 160)

تؤكد المصادر خلو التراث الأوروبي مما ينسجم مع الفكر البروفنسي ووجود ما يشابه ذلك في تراثنا العربي ، والناقد (عبد الواحد لؤلؤة) في كتابه (دور العرب في تطور الشعر الأوروبي) يبني أطروحته منطلقاً من فكرة أن هذا الشعر نسخة مبتكرة من الموشحات والأزجال الأندلسية ، وقد لعب التداخل السكاني والتعايش الاجتماعي في الأندلس دوراً كبيراً في جعل قضية التأثير والتأثير أمراً بديهياً ومقبولاً ، **(ينظر: مراني ، 1985: 13)** ويمكن القول أن التروبادور الفرنسيين تأثروا بالعرب فيما ابتكروه من شعر يتضمن آراء ومفاهيم جديدة في مفهوم الحب ، وذلك لأن حقبة وجود العرب في الأراضي الأوروبية دامت ثمانية قرون من عبور طارق بن زياد مضيق جبل طارق إلى إسبانيا عام 711م وتلا ذلك الفتح العربي لمعظم الأراضي الإسبانية ، وقد ظهر شغف الأوروبيين واضحاً جلياً بالشعر والغناء في القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين ، إذ شكلت ظاهرة عمت المجتمع الأوروبي آنذاك ، ويعد التروبادور (غيوم التاسع) ، كونت بواتيه 1127م أول من نظم الشعر الغنائي بعد عودته من المشرق ، إذ كانت أولى قصائده في القرن الحادي عشر الميلادي ولكنها لم تصل إلينا بحسب بعض الباحثين ، **(ينظر: عباسية ، 2014: 11)** ولم يكن (غيوم التاسع) أول من كتب قصائد الحب الفروسي ، بل يعد أول شاعر أوروبي كتب بلغة محلية ، لغة جنوب فرنسا ، ورأى بعض الدارسين أن جرأة هذا الشاعر لا تتفق مع عادات وتقاليد المجتمع بل تمثل تناقضاً صريحاً بينهما ، لأن تقاليد المجتمع والكنيسة آنذاك لا تسمح للرجل أن يتوسل إلى المرأة ويخضع لها ولإرادتها، بل كانت في نظرهم أدنى مرتبة من الرجل . **(ينظر: لؤلؤة ، 2005: 25)** .

وبحسب الدراسات السابقة وجد عند استقراء قصائد هذا الشاعر أنه لم يبق من آثاره إلا إحدى عشرة قصيدة ، الثلاث الأولى منها جاءت موحدة القافية شأنها شأن الشعر التقليدي العربي ، أما القصائد الأخرى فنظمت على شاكلة الموشحات والأزجال الأندلسية مع تغيير مقصود في ترتيب القوافي. **(ينظر: عباسية ، 2014: 11)** .

لقد استطاع الشعراء التروبادوريون إدخال جميع موضوعات الشعر المشرقي إلى مجتمعاتهم فطرقوا الغزل البلاطي المجامل والعفيف، وأبدعوا في الحب والوصف ، ووصفوا الطبيعة وشخصوا عناصرها الحية والجمدة ، هذا التفاعل ما هو إلا وجه من أوجه الانفتاح بين الثقافات والشعوب المختلفة ، فظهرت قيمة الأصل واضحة جلية ، وصار الفرع أساساً لتطوير مفهوم عاطفة الحب والإنسانية **(نميش ، 2016: 30)** ولا بد أن يتداخل الحديث عن الغزل ونعني (غزل التروبادور) -الذي نحن بصدد دراسته - بالحديث عن الحب ، فالحب هو الموجة العميقة التي لا تراها أعيننا ، والغزل هو الموجة التي تطفو على السطح لكنها متصلة بالأعماق ، منبثقة عنها ، نراها ، ونسمع هديرها ، وتستبد بنا تشكيلاتها وألوانها ، وبالحديث عن الحب ، نود القول أن الأدب العربي في العصر العباسي حاور -فعلياً - (محاورة المأدبة) لأفلاطون

ولكنه صبغ مفاهيمها بصبغة عربية إسلامية تعكس رؤية الإنسان العربي للوجود وللذات الإنسانية ، وقد أورد المسعودي في ( مروج الذهب ) حديثا عن مجلس يحيى بن خالد البرمكي في القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث الهجري وفيه اجتمع أهل الكلام من مختلف المذاهب وغيرهم من أهل الآراء والنحل ، فطلب منهم أن يورد كل منهم ما خطر بباله عن (العشق) ، فقال (علي بن الهيثم) وهو من متكلمي الشيعة : " العشق ثمرة المشاكلة ، وهو دليل تمازج الروحين وهو من يجر اللطافة ورقة الصنيعة وصفاء الجوهر ، وليس يحدُّ لسعته... " والعشق عند (مالك الحضرمي) وهو خارجي المذهب : "نفث السحر ، وهو أخفى وأحر من الجمر ، ولا يكون إلا بازواج الطبعين وامتزاج الشكليات وله نفوذ في القلب كنفوذ صيب المزن في خلل الرمل ، وهو ملك على الخصال تنقاد له العقول وتستكين له الآراء.. " ، وعند (العلاف) وهو معتزلي المذهب : " يختم على النواظر ، ويطلع على الأفئدة ، مرتقى في الأجساد ، ومسرعة في الأكباد.... " وهو عند (هشام بن الحكم ) شيخ الأمامية في وقته : "....لُهُ مَقْتَلٌ فِي صَمِيمِ الْكَبِدِ وَمَهْجَةُ الْقَلْبِ ، يَعْقُدُ اللِّسَانَ الْفَصِيحَ وَيَتْرَكَ الْمَالِكَ مَمْلُوكًا وَالسَّيِّدَ حَوَالًا... " . والعشق عند النظم المعنوي : " أرق من السراب ، وأدب من الشراب ، وهو من طينة عطرة عُجنت في إناء الجلالة... له سحابة غزيرة تهمي على القلوب فثُعشِبُ شغفا ، وتثمر كفا .. " . حين أوردنا تلك الآراء المختلفة لأهل الكلام نلاحظ أنهم قد تطرقوا لموضوعة العشق لكنهم ظلوا فقهاء على المستوى الواعي المتعمد ، حتى وإن أحسنا تحت السطح صراعا ناشبا بين العقل المتفكدة والنفس اللوامة والعواطف المستنفرة ، وهذا حال الفقهاء ، فما حال الشعراء إذا !! ( ينظر : المسعودي ، 2005 : 14 / 2 ) .

إذا "بين الحب والغزل وشائج قوية ، بل الصلة بينهما أقوى من أن تكون وشائج ؛ لأن الحب عاطفة والغزل إحدى الوسائل للتعبير عن هذه العاطفة وهو وسيلة الشاعر لإبراز ما يختلج في نفسه." (الحوفي ، د.ب: 145)

إن لاتصال العرب بأوروبا بطريق غير مباشر عن طريق الترجمة أثر كبير في نقل جُل المظاهر الحضارية بين الشعوب ، ولو عدنا لتراثنا الأدبي لوجدنا الكثير مما ألف في العلوم والفلسفة واللغة والأدب ، فكتبوا عن الحب ، وغيره كثير ، ومن أشهر المؤلفات : "رسالة ابن سينا ت 427هـ - 1037م في العشق " وكتاب (ابن حزم ) طوق الحمامة في الألفة والآلاف و(مصارع العشاق) لأبن السراج و(تزيين الأسواق) للأنطاكي ، وغيرها كثير.

وبمقارنة بسيطة بين مؤلفات الغرب ومؤلفات الشرق نجد أن أقدم محاولة في أوروبا كانت مع رجل يدعى (أندرياس دي جابلن) كتب كتابا فيه إرساء لقوانين العشق الذي مارسه شعراء التروبادور فيما بعد في

القرن الثالث عشر الميلادي (ينظر: مراني، 1985: 27) وتعد هذه محاولة لتصوير المرأة في الأدب النثري، سبقه إليها ابن سينا بكثير، لذا وجد الدارسون كثيرا من نقاط التشابه بينهما ومنها:

- 1- الأول قدم كتابه إلى صديقه وولتر والثاني قدم رسالته إلى الفقيه المعصري.
- 2- الاثنان تحدثا عن نوع متميز من الحب امتاز بالتناقض فهو حسي وروحي في آن واحد. وفي هذا الخصوص يقول أندرياس: "هذا هو الحب الذي يجب أن يصبو إليه الجميع بكل قلوبهم، لأنه حب يزيد على الأيام بلا نهاية، ولا يندم أهله، هذا الحب متميز بكونه فضيلة وداعية إلى اكتمال الشخصية". (ينظر: المصدر نفسه: 30)

3- كلاهما وصف نوعا من الحب، يستساغ فيه النظر واللمس والعناق والتقبيل مع التحلي بضبط النفس للاحتفاظ بالعفة كشرط أساس مما يجعل العشق مهذبا وداعيا للتهذيب والمروءة والفضل، وهذا هو ما تحدث عنه شعراء التروبادور في تغزلهم بالمرأة فهو سمة وسمت شعرهم، ولو عدنا لرسالة ابن سينا في ماهية العشق لأدركنا التشابه بين رسالته وبين ما كتبه أندرياس، فكأن أندرياس حذا حذو ابن سينا في رسالته التي تألفت من سبعة فصول تتحدث عن وجود العشق وسريانه في جميع الموجودات، فالموجودات "أما أن يكون وجودها بسبب عشق فيها، وأما أن يكون وجودها والعشق هو نفسه" (ابن سينا، 2017: 10) ولم يكن ابن سينا الوحيد الذي كتب عن هذه العاطفة وتأثيرها في تهذيب النفوس وتركيبية خلال فقد كتب ابن السراج في كتاب (مصارع العشاق) وهو يذكر قول أحد الشيوخ في خراسان وكان له أدب وحسن معرفة بالأمر إذ قال: "أعشقوا فإن العشق يُطلق اللسان العبيّ ويفتح حيلة البليد...، ويبعث على التنظف وتحسن اللباس وتطبيب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء وتشرف الهمة وإياكم والحرام". (السراج، د.ت: 2/ 22) فالدعوة كانت إذن إلى حب تغف فيه الجوانح وتسمو به النفس وهو ما أكده شعراء الغزل العفيف في أدبنا العربي ومن بعدهم شعراء التروبادور في الأدب الغربي، من هنا تعددت أوصاف المحبوبة المعنوية لدى هؤلاء الشعراء، وسنبسط القول في تلك الأوصاف في ما سيأتي من ثنايا بحثنا.

### صفات المرأة المعنوية

كثيرة هي الخصائص التي وصفها شعراء الطائفتين فيما يخص المرأة، لا سيما أننا نتعامل مع أدبين مختلفين في أوجه كثيرة مثل البيئة والطابع الزمني واللغة وعوامل أخرى كثيرة أحكمت النص بمحددات أو قيود لا يمكن أن ينزلق منها، وعلى الرغم من ذلك كله، فإن الخصائص التي استعملت تكاد تكون متقاربة إلى حد كبير، إذ يتعلق بعضها بالجانب المعنوي، وبعضها الآخر يتعلق بجوانب حسية أو ملامح ظاهرة، ويمكن تناولها على وفق الآتي:

1- وصف جمال المرأة: يقسم جمال المرأة على قسمين الجمال المعنوي والجمال الظاهري، فهناك ملامح جمال ظاهرة مثل الوجه والشعر والقوام، وهناك صفات مخفية مثل الحياء والتكتم وغير ذلك، وقد عطينا بالأول هنا إذ تسامت صورة المرأة لدى شعراء الغزل العفيف حتى أصبحت معبودة وهي المثل والنموذج للأنثى، أغدق عليها الشاعر صفات مكتملة ، خلقا وأخلاقا، فاستطرد في ذكر خصالها وصفاتها ، ومثل هذه الوصف مألوف في شعرنا العربي ، نورد منه قول بشار:

وَذَاتِ دَلِّ كَأَنَّ الْبَدْرُ صَوَّرَتْهَا      بَاتَتْ تُعْنِي عَمِيدَ الْقَلْبِ سَكْرَانَا

إِنَّ الْغُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ      فَتَلَنَّا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا

فَقُلْتُ أَحْسَنْتِ أَنْتِ الشَّمْسُ طَالِعَةً      أَضْرَمْتِ فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ نِيرَانَا (بن

برد، ١٩٦٦ : ٤ / 194)

وقد وردت صورة مماثلة لدى أحد شعراء التروبادور:

" جمالها غلب كل جمالٍ سواه ، كما فاق ضياء الشمس كل ضياءٍ عداه " . (ينظر: مراني، 1985: 47)

والفارق واضح بين النصين ، إذ نلمس في النص الأول اضطراب مشاعر الشاعر وبيان تأثير جمال المحبوبة على نفسه فقد أضرمت النيران في القلب والأحشاء ، فتبدو صورة بشار حارقة نابضة بالعشق وإن بدا غزلها رقيقا عفيفا لكنها تحمل في طياتها شكوى وأنين العاشق وهذا ما جسده الفعل (أضرم) ، فضلا عن أن صورته ضمت تشبيهين وهو يصف جمالها فتبدت له تارة كالبدر، وتارة أخرى كالشمس ، فبدت الصورة أكثر عمقا، أما صورة المحبوبة لدى شاعر التروبادور فكانت أكثر تحديدا وإن كانت أكثر سما، فكان حديث الشاعر مسلطا على المحبوبة نفسها دون الإشارة إلى تأثير ذلك الجمال عليه فبدت الصورة مباشرة وهي تنأى عن مطامع النفس البشرية.

لقد تعددت الصور التشبيهية التي رسمها الشعراء للمرأة ، ومنها صورة الشاعر (العباس بن الأحنف) وهو يصف محبوبته ، مشبها وجهها في كل صباح بالهلال لحسنها، إذ قال :

تَمَّتْ وَتَمَّ الْحَسَنُ فِي وَجْهِهَا      فَكُلُّ حُسْنٍ مَا خَلَاهَا مُحَالٌ

في حين يصف شاعر آخر من شعراء التروبادور جمال محبوبته ، قائلا:

"قلبي رفيقك الدائم الملازم ، جاءني رسولا منك ، فصوّرت لي شخصك الظريف النبيل ، وشعرك الكستنائي الجميل وجبهتك الناصعة كالزنايق وعينيك الضاحكتين المرحتين وبشرك المبيضة التي فاقت الورود كلها بياضا مشربا بحمرة" (ينظر: مراني، 1985: 48) ، لو تأملنا الصورتين أعلاه لوجدنا أن صورة العباس بن الأحنف جامعة لمظاهر حُسن محبوبته فضلا عن وجهها ، أما الصورة لدى شاعر التروبادور فكانت جزئية لأنها اقتصرت على الوجه فقط وإن فصل القول فيها واصفا شعرها وجبهتها وعينيها وبشرتها ولكنها تنحسر ضمن إطار (الوجه) فقط. ، كما لا ننسى أنه تحدث من خلال وسيط ، فكانت الرؤية القلبية شريكا له في تصور المحبوبة.

ويبدو ان المقارنة بين المحبوبة والنساء الأخريات واحدة من الخصائص المهمة التي انماز بها غزل شعراء التروبادور وهذه الخصيصة تتناسب أو تقترب بعض الشيء من شعر الشعراء المشاركة اذ نجد بعضهم يجعل محبوبته مثلا للخلق والجمال والتفرد والتفوق على الأخريات جميعا، فهذا شاعر آخر يقارن حبيبته بكل جميلات الأرض ليجد أنها تفوقهن حسنا " أما بخصوص الجمال ، فالأخريات يتضاءلن

حتى أن أجملهن لتقع دون حبيبتي إن قيست معها بمقياس الحسن" (المصدر نفسه: 48)

إن المبالغة في وصف جمال المحبوبة رافقه حديث عن جمال أخلاقها لدى شعراء التروبادور ، فوصفوا عذوبة خلقها وظرفها فضلا عن جمالها الجسدي، قال أحدهم واصفا حبيبته: "لها خلق عذب وشخصية تفيض بالظرف والمرح،

ما رأيت مثيلا لها ، ذات قدر وجمال ، فضيلة وحكمة فوق ما استطيع وصفه" (المصدر نفسه: 53)

من الجدير بالذكر أن الشاعر قد أعقد عليها عليها ميزات وصفات تقرب من الكمال ، هذا لأنه يراها بعين المحب العاشق فهو لم يكتف بوصف جمالها بل أنها في نظره فاقت كل الناس بجمال خلقها وهي يبحث عن الخلود بحبها كما في قول (غليوم التاسع):

كل فرحة تهون أمام هذه الفرحة الكبرى

وكل نبالة تتجلى عن مكانها



لسيدتي بما امتازت به من ظرافةٍ

ولطافةٍ ونظرةٍ بهيجة

وسيعيشُ مائةَ عامٍ ذلك الرجلُ

الذي يحالفهُ الحظُّ فيفوزُ بفرحةٍ حُبِّها (المصدر نفسه، 65)

ويراها المتنبي قمرا في نظره ، يفوح شذاها كالعنبر حين وصفها قائلا :

بدتُ قمرا ومالتُ خوطُ بانٍ وفاحت عنبراً ورنتُ غزالاً ( المتنبي، دبت:

340/3)

جمع الشاعر في البيت الشعري - ببرااعة متفردة - أربعة تشبيهات دون ذكر أداة التشبيه وهو يقول : بدت هذه المحبوبة قمرا في حسنها ، ومالت مشبهة غصنا في تننيها ، وحسن مشيها ، فاحت مشبهة عنبرا في طيب ريحها ، ورننت مشبهة غزالا في سود مقلتيها ، وعدّ من أحسن التشبيه لأنه جمع أربعة تشبيهات في بيت واحد وهذا باب التدبيح في الشعر وهو من البديع. (ينظر:المصدر نفسه) وشبه نعومتها واستواء قامتها بالبان لأنها ذات استواء في أفنانها وطولها ونعومتها ، ويسمى هذا النوع من التقسيم (التقسيم المذيل) أي أن يذكر الشاعر متعدّدات ويذكر إلى جانب كل واحد منها ما يتعلق به. (الميداني، 1966 : 2 / 412) وعدهّ الثعالبي من "حسن التشبيه بغير أداة التشبيه". (الثعالبي، 1983 : 1 / 224) ، تتابع التشبيهات في النص الشعري منح الصورة عمقا أكثر ودلالة أعمق إذ بدا الشاعر ماهرا في رسم صورة الحبيبة بما أضفى عليها من صفات تكاد تكون مثالية.

ولا يغيب الجمال الخارجي عن وصف الشعراء له لاسيما وأنه يتعلّق بالملاحح الظاهرة للعيان فأبي الحسن التهامي يتناول هذا الجانب المهم من جوانب الجمال، فيصف رقة المرأة ورشاققتها قائلا:

اغضُ من الوردِ الجنيّ خدودها وارشقُ من غصنِ الرياضِ قدودها (التهامي، 1983 :

166)

ويستحضر شاعر التروبادور صورة مقارنة من الصورة السابقة، لكنها قائمة على الجزئية لا الكلية فيقول :

"ذراعها الناعمان وقدها الأهيف السمع ، عطاها الهضيمان وجيدها الناصع،....لقد أخذ بجمالها وانتشى برحيق السماء " (ينظر: مراني،1985:50)

مما سبق نلاحظ أن وصف الصفات المعنوية كجمال المرأة لدى الشعراء في العصر العباسي قد طبع بطابع الرقة وبث لواعج النفس فكان له طابع مميز بسبب امتزاج الثقافات والحضارات ، إذ كان تارة يميل للعفة والالتزام وتارة أخرى يميل للحس والمغالاة ، وما ورد عن شعراء التروبادور في هذا الجانب لا يتعدى كونه غزلا عفيفا سبق إليه شعراؤنا العرب.

## 2- وصف تمنع المحبوبة :

كانت المرأة الممنعة العسيرة المنال مثال الشعراء الأعلى في كل عصر فهي المعشوقة وهي القاسية الممعة في الدلال والهجر والصدع عن حبيب ظل يطلب منها الرأفة بقلبه المحب، وتكاد تكون هذه الصورة هي الغالبة على الشعر الغزلي العربي على مر الأزمان، فلا تخلو قصيدة غزل من شكوى الشاعر وطلبه الرحمة من محبوبة قاسية فتمنع المرأة قد يكون مرتبطا بدلالها في أغلب الأحيان، فها هو العباس بن الأحنف يخاطبها قائلا:

أبكي الذين أذقوني مودتهم	حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
جاروا علي ولم يوفوا بعهدهم	قد كنت أحسبهم يوفون إن عهدوا
لأخرجن من الدنيا وخبكم	بين الجوانح لم يشعُر به أحدُ (بن الأحنف،1954:

(8)

وقال في موضع آخر :

قد قال لي ناس تحمل دلالها	فكل صديق سوف يرضى ويغضب
إني لأقل بذي غيرك فاعلمي	وبخلك في صدري ألد وأطيب (المصدر نفسه:

(12)

هو يضيق بذل وبخل سواها ، لكنه يستعذب ما كان منها ، وفي الصورتين نلمس صدق الشاعر في التعبير وقد يكون الشاعر العربي أصدق في التعبير عما يكابده ، فهو لم يطلب منها مباشرة الرحمة به ، بل جعل ذلك واضحا من صياغته لصورة شعرية تكاد تكون حوارية لنلمس مدى حبه وتصبره على دلال محبوبته ، أما

شاعر التروبادور فكثيرا ما وصف المرأة المتمنعة ، واصفا دلالتها ، وراسما لها صورة الحبيبة القاسية المتمنعة ، فهو مأخوذ بسحرها وجمالها ولكنه يشكو من تمنعها وبخلها عليه، يقول برنارد:

" أيها المخلوق الحلو الساحر ، البخيل ، اللطيف ، المتكبر، المليح الجميل فوق ما ينبغي ، يا حبيبتى التي لا أحب سواها ، أسألك باسم الرحمة فقط أن تشفقي عليّ " (ينظر: مراني، 1985: 60)

فهو يلتمس منها الرحمة والشفقة بعد أن ذكر خصالا متناقضة تحملها تلك المرأة، ويخيل إلى شاعر آخر أن حبيبته موشكة على قتله بتمنعها وبخلها، وهو راضٍ بما يسرّها:

" أنا تحت رحمتها ولو سرّها قتلي، فلسوف تجدني راضا بما يسرها ، لا أتشكى " (المصدر نفسه:56)

وتكاد تتطابق صورتان لدى الطرفين إذ اتفقتا على أن العاشق يلتمس من معشوقه الرأفة والرفق بحاله لما يكابده من تباريح الهوى والعشق على الرغم من أن صورة الشاعر العباسي تميزت بالديمومة والاستمرار ، استمرار معاناة العاشق وهذا ما جسده استعمال الشاعر للفعل المضارع.

### 3 – وصف تسلط المرأة المحبوبة :

المرأة المحبوبة هي صاحبة الكلمة الأولى في قبول الحب الذي يقدمه الرجل لها، لو عدنا بالتاريخ إلى الوراء وتناقلنا أخبار العشاق من خلال قصص التاريخ ، لبرزت المرأة في كل حين وكأنها واهبة هذا الحب وهي الأمرة الناهية ، ولعل (جميلا) كشف هذه العلاقة – بصورة شعرية- في حوار دار بينه وبين بثينة ، قال فيه :

من الحب قالت: ثابت ويزيد	إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي
تولّت وقالت ذاك منك بعيد	وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به
ولاحبّها فيمّا يبببب	فلا أنا مردود لما جئت طالبا
وابليت فيها الدهر وهو جديد ( بثينة ، 2009:	وافنيث عمري بانتظار وعدّها

(38)

وشاهدنا العباسي هو الشاعر ( العباس بن الاحنف ) الذي وصف تشبثه بمحبوبته ، على الرغم من إعراضها وزهدا بحبه فهي رجأؤه من دنياه ، قال:

وإن تك فوز باعدتنا وأعرضت وأصبح باقي حبلها يتقضب

وحالت عن العهد الذي كان بيننا  
وصارت إلى غير الذي كنت أحسب  
وهان عليها ما ألقى فربما  
يكون التلاقي والقلوب تقلب (بن  
الأحنف، 1954: 8)

ووصف (بشار بن برد) تسلطها وسطوتها على محبوبها حتى فرّ النوم من عينيه ، فقال :

يا رنم قولي لمثل الرنم قد هجرت  
يقظي فما بألها في النوم تغشاني  
لهفي عليها ولهفي من تدكرها  
يدنو تدكرها مني وتناي  
إذ لا يزال لها طيف يورقني  
نشوان من حبابها أو غير نشوان (بن برد  
1966: 216 / 4)

أبداع الشاعر في رسم صورتها مستعملا الجناس في البيت الأول (رنم) وهو اسم علم مؤنث وبين (رنم) الثانية وهي الظبية البيضاء وأظهر في البيت الثاني تحسرا على نفسه لأنه لا ينساها وهي الممعنة في البعد موظفا التكرار ليضفي على الصورة بعدا موسيقيا .

ويقول ابن المعتز واصفا تمنع محبوبته :

صد عني تبرما ، و تملأ  
قمر لاح في الدجى و تجلى  
أسرعت عينه المليحة قتلي  
لم تدعني في الحب أضنى وأبلى  
أنا عبد لسيد لي جاف  
كلما رمت وصله زاد بخلا (ابن المعتز، دبت: 373)

إن تلك الحبيبة مع ما تملك من جمال أخذت تبؤا مكانة عليا في دنيا حبيبها ولكنها مع هذا تتحكم به، تشقيه تارة، وتسعده تارة أخرى، فهي تبدي الصدود، وهي التي نالت منه مذرائه ومع كل هذا وذاك يخاطبها وكأنها معبودة لا معشوقة فحسب.

ويقطع شاعر آخر وعدا لها ، بأنه لن يتخلى عن حبها ما دام حيا يمّني النفس بوصولها مهما نأت أو بعدت:

لاستمسكن بالود ما ذر شارق  
وما ناح قمري وما لاح كوكب  
وأبكي على فوز بعين سخينة  
وإن زهدت فينا ، نقول ، سترغب (بن الأحنف، 1954:

الشاعر هنا وظف لفظتي الإشراق والنوح ليؤكد ديمومة واستمرار الحال وهو متمسك بوجدها ، لقد بكأها شعرا وخذها بدموع سخينة ، إنه النوح الذي تترنم به النفس المشوقة المستهامة ، وقد جسد شعراء التروبادور في شعرهم مدى تسلط المرأة المعشوقة ، يقول الشاعر (بالازول) :

" اشتاق إلى البقاء بقربك دون شرطٍ ، ولك أن تقرري إن كنتِ سنتيليني المعروف أم لا ، اختاري ما ترغبين في أمري ، ولن أعمل شيئا صغيرا أو كبيرا إلا وفقا لمشيئتك" (ينظر: مراني، 1985: 60) إنها تمثل لديه العلة الكافية للوجود وهذه هي مرحلة الشغف الذي يجعل من الحب "علة مشتهاة لا يود سليمها البرء" كما عبر ابن حزم عن ذلك في كتابه (طوق الحمامة) .

في موضع آخر يؤكد الشاعر بأنه لن يخالف أوامرها حتى آخر عهده :

" برغبة أكيدة ، وقلب مخلص صادق ، أعاهد نفسي على تنفيذ أوامره ، إلا إذا طلبت مني ترك هواك ، فهذا أمر لا طاقة لي على تنفيذه" . (ينظر: المصدر نفسه)

#### 4- وصف سحر المرأة وتأثيرها :

تعددت سبل التعبير عند الشعراء لوصف سحر المرأة وتأثيرها ومنهم من أتخذ من أوصافها الحسبة سبيلا لهذا التأثير ومنهم من أخذها مثلا إنسانيا مقدسا ، فتحدث عن صفاتها المعنوية ، مترفعا بعواطفه ومشاعره عن كل ما يشين تلك الصورة وكل ما يمكن أن يحط من قيمة المرأة لديه ، وقد تختلف نظرة شاعر التروبادور عن نظرة الشاعر العباسي (بشار بن برد) حين يصف وصال من يهوى كالدواء من كل علة فيقول :

إِلَّا لَدَيْكَ فَهَلْ مَا رُمْتُ مَوْجُودُ

يَا حُبَّ إِنَّ دَوَاءَ الْحُبِّ مَفْقُودُ

يَا حُبَّ فَوْكَ الْهَوَى وَالْعَيْنُ وَالْجِيدُ

قَالَتْ عَلَيْكَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهَا

وَأَنْ تُنِيلِي فَنَيْلٌ مِنْكَ مَخْلُودُ ((بن برد

رُؤْيَاكِ تَدْعُو الْمَنَايَا قَبْلَ مَوْتِهَا

، (1966: 96/2)

لقد قلب الشاعر الصورة ، صورة المرأة اللائمة ، فظهر هو لائما معاتبا بوجدٍ يرجو وصالها مجسدا صورة حرمانه منها كالمنية قبل موعدها، فإن تلطفت بحاله فيسخذ ، فكان هذا الحوار هو الأكثر ملائمة لتجربته وهو الأقدر على تهيئة أرضية منفتحة تعينه على التخفيف عن معاناته جرّاء جفوتها، فقلب العاشق أمسى مملوكا لديها ، وهذا ما جسده الشاعر (العباس بن الأحنف) في قوله:

عندي ، فأين فؤادي المفقود

أمسى فؤادي عندكم ومحلّه

وأظنّه بوصولكم سيعود (بن الأحنف، 1954:

ذهب الفؤاد فما أحسّ حسيه

(104

نجح الشاعر في تجسيد تأثير المحبوبة على روحه ونفسه ، فهو يعيش مرارة فراقها وكأنه فقد حسيه فؤاده .  
وها هو (الشريف الرضي) يستعذب مرارة عشقها فهي النعيم والعذاب في آنٍ معا فيقول في إحدى حجازياته :

فما امرّك في قلبي واحلاك ( الرضي، د.ت: 2/

أنت النعيم لقلبي والعذاب له

(100

لقد استحالت المرأة لديه إلى رمز مرتبط بكيانه لأن مزية الغزل هي ارتباطه بحب الحياة فهو يعبر عن  
مشاعر إنسانية رقيقة فيها تصوير لمكونات النفس ودواخل المحب وما يعتريه من انفعالات تنم عن بذل  
الروح بتسامٍ لا متناه.

ويعزف شاعرنا العباس بن الأحنف -في موضع آخر- عن كل ما عداها فهو عاشقٌ دنفٌ وصل الحد به في أن  
يقدم أنموذجا فريدا في التضحية ونكران الذات ، إنه عشقٌ روحي قد يصل بالشاعر إلى حد التوحد بمعشوقه:

وَلَا رَأَيْتُ نَكْمَ عِدْلًا وَلَا خَلْفًا

مَا دَقْتُ بَعْدَكُمْ عَيْشًا سُرِرْتُ بِهِ

كَأَنَّ ذِكْرَكُمْ بِالْقَلْبِ قَدْ رُصِفَا

مَا زِلْتُ بَعْدَكُمْ أَهْدِي بِذِكْرِكُمْ

وَمَا أَقَاسِي وَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِفَا

أَشْكُو إِلَيْكَ الَّذِي بِي يَا مُعَذِّبَتِي

حَتَّى مَتَى حُبُّكُمْ بِالْقَلْبِ قَدْ كَلِفَا (بن

يَا هَمَّ نَفْسِي وَيَا سَمْعِي وَيَا بَصْرِي

الأحنف، 1954: 181- 182)

تبدو المرأة كيانا متجزرا في ذات الشاعر روحا وجسدا ، فتمكنت من سلب أحاسيسه ، فجسد وحدته حتى مع  
وجود الآخرين من حوله ، بقوله :

وَفَرَّقْتَ أَحْزَانِي وَقَرَّبْتَ فِي الْوَعْدِ

أَسِيدَتِي بِاللَّهِ إِلَّا رَحِمَتْنِي

إذا هي غابت موحشا خاليا وحدي ( المصدر

لو أن خلق الله عندي لخلتني

نفسه: 85)

أما غزل شعراء التروبادور في هذا الجانب فبدا أكثر ترفعا وسموا ،فقد تسامى الشاعر عن كل ما هو حسي، فهي خالصة لبّه حتى لا يبصر سواها ولا يعي حديث غيرها، هي الداء والدواء ،وهي البلمس الشافي ،يقول أحد شعرائهم :

"سيدتي، أنت الطبيب والبلمس الشافي، لمن أصابه سهم الموت " (مراني ،70:1985) ، وغالبا ما يدور الحديث عن امرأة سامية من الناحية الإنسانية،حبها يجسد لديه الحياة والموت في آن واحد ،يقول (أرنوت دانيال):

" أما تجاه رؤية الآخرين فأنا أعمى، وأما تجاه ما يقولون فأنا أصم ، هي الإنسان الوحيد الذي أحقق به وأسمع ما يقول " (المصدر نفسه:71) .

وكأنه يفصل عن كل من حوله لتستحيل هي بديلا عن كل الناس ،وملاذا له في كل حين.

#### 5 - وصف النظرة الأولى للمحوبة :

وصف اللقاء الأول بالمحوبة نجده ماثورا في شعرنا العربي ، وقد سبق شعر التروبادور بقرون ، فغالبا ما يصف الشعراء (سهام العين واللحظ) فهي تصيب القلوب وتخلب الألباب ، وهذا ما نجده عند الفئتين ،فالعين هي النافذة التي يطلُّ منها الشاعر على محبوبته وتطلُّ منها عليه وهي منبع الجاذبية التي يستأنس لها الحبيب ويلتذ الأسر بسببها،وفي غزلنا العربي عبّر كثير من الشعراء عن النظرة الأولى التي كانت سببا لشقاءٍ دائم ، ظل يعانيه المُحب فتغنّوا بها واصفين تأثيرها عليهم ، فوصف العباس بن الأحنف هذه النظرة قائلا :

وَغَادَرَ سَهْمُهَا جِسْمِي جَرِيحًا

أَيَا لِكِ نَظْرَةً أَوَدَّتْ بِقَلْبِي

فَكَانَتْ بَعْضَ مَا يَتَّكَ الْفُرُوحَا

فَلَيْتَ أَمِيرَتِي جَادَتْ بِأُخْرَى

وَمَا أَنْ أَمُوتَ فَأَسْتَرِيحَا

فَمَا أَنْ يَكُونَ بِهَا شِفَائِي

(بن الأحنف ،1954: 74)

شبه الشاعر نظرة محبوبته بسهم نفذ في جسده فتركه جريحا متألما ، ليطلب منها أن تجود بأخرى لعله يجد سبيلا للراحة حتى وإن كانت بالموت ، ومما لا شكَّ فيه أن نظرة العين هي الأساس في تعزيز الحب وبناء الثقة بين الطرفين فهي مهمة في التواصل الإنساني بين جميع أفراد البشر.

ووصف (علي بن الجهم) تأثير عيني محبوبته عليه بقوله :

جلبنّ الهوى من حيث ادري ولا ادري

عيونُ المهّا بين الرصافة والجسر

سلوت ولكن زدن جمرأ على جمر (بن)

أعدن لي الشوق القديم ولم أكن

(الجهم، 1980: 104)

كان الأبيات بُنيت على عنصر المفارقة الزمنية، إذ جعل الشاعر الزمن مفتاحا بنائيا وعتبة نصية تجلى من خلالها أثر العشق بدلالة الأفعال الماضية التي دلت على حدوث مواقف كثيرة في ذلك الزمن وما بين الزمنين يمثل انقطاعا وفجوة كبيرة جسدها افتقاد الشاعر لعيني امرأته حين فارقتها مرغما.

ويخاطب ابن المعتز عيني محبوبته قائلا :

كما كلّ معشوقٍ عليمٍ بعاشقٍ؟!

أما علمتَ عيناكِ أنّي أحبُّها

إليها على خوفٍ بعبرةٍ وامقٍ

ألم ترَ عيني، وهي تسرقُ نظرةً

وإن لم أكن في الحبِّ منه بواثقٍ (ابن المعتز، د.ت: 322)

أراني سأبدي حبّه متعرّضا

الشاعر بدا لائما عاتبا مستفهما عن مدى علمها بحبه الذي قادت إليه استراقه لنظرة من عينيها ، ممثلا خوفه مما سيكابده جراء ذلك الحب .

وقد عبرَ شاعر التروبادور (غليوم) عن نظرتها التي جعلته أسيرا لها ، ناسيا كل من حوله ما عداها، بقوله :

"حين رأيتكِ لأول مرة ، أو حين سمحت لي أن أراك يا سيدتي ، نسيْتُ ما كان من أمري ، إذ علّقت رغباتي كلّها فيك ، وتمكن الشوق من قلبي بابتسامةٍ حلوةٍ ونظرةٍ تجعلني أنسى كلّ ما هو كائن سواه". (مراني ،

1985: 80)

ويصف الشاعر (بيرول) نظرتها الأولى التي سلبت قلبه فتملكته قائلا :

"لقد غمرني السرور وأنا أنظر إليها لأول مرة ، وما كان باستطاعتي أن استعيد القلب الذي سلبته ، فقد كان معها منذ ذلك الحين وما زال". (المصدر نفسه)

ومما يمكن أن نلاحظه من خلال النصوص السابقة أن الشعراء لم يكتفوا بوصف نظرة المحبوبة فقط بل وصفوا مدى تأثيرها عليهم ، فهي الشرارة الأولى التي تشعل كيان العاشق وتشغل قلبه ووجدانه .

6 - شكوى وأنين العاشق:



تتعالى شكوى شاعر الغزل العفيف في كل وقت وعلى مر العصور ، إذ راح يشكو سهره وضعف حيلته ومجافاة النوم عينيه ، والصعوبات التي تجابههم في تحقيق علاقات الحب بسبب التقاليد المجتمعية في كل عصر ، فكان الغزل وسيلة يعزي بها الشاعر نفسه علّه يخفف مما يعانيه، فهذا هو شاعرنا (العباس بن الأحنف) قد استعار للفؤاد عينا لا ينقطع بكاها بطريقة أسرة رقيقة قائلا :

تَجَافَى مَرْفَقَايَ عَنِ الْوَسَادِ      كَأَنَّ بِهِ مَنَابِتَ لِلْقَتَادِ  
وَبَاتَتْ تُمَطِّرُ الْعَبْرَاتِ عَيْنِي      وَعَيْنُ الدَّمْعِ تَنْبُعُ مِنْ فُؤَادِي (بن الأحنف  
،1954: 87)

وهو يُمني النفس بوصولها فيشكو وجع ولوعة عشقه ، فيقول :

يا معشرَ العُشَّاقِ ما أوجَعَ الهوى      إذا كان لا يلقى المُحِبَّ حبيبُ  
أموْتُ لحيني والهوى لي مُطَاوَعُ      كذاك منايا العاشقين ضُروبُ  
عَدِمْتُ فُؤَادِي ! كيفَ عَذَّبَهُ الهوى !      أما لفؤادي من هواهُ نصيبُ (المصدر نفسه: 51)

قد يكون من اللافت للنظر أن لا تكون المحبوبة هي مصدر شقاء الرجل الوحيد في هذا الجانب ، فقد يكون حرمانه من أن يعيش تجربة العشق هو مدعاة لشقاء أكبر.

وقد تفنن الشعراء في وصف همومهم وشوقهم وسهرهم الدائم ، فهذا هو شاعر التروبادور (برنارد) يقول واصفا آلامه وسهره :

"لا اعرف كيف أفرُّ من هذه الأفكار المؤلمة التي تنتابني وتجعلني أجافي رقادي ، فأقضي ليلي ، أتقلب على سريري أو أدورُ حول ذلك السرير " (مراني ، 1985: 87)

وكأننا أمام لوحة لإنسان قلق جافاه النوم ، فبات يتقلب على سريره أو يدور ويدور لعلّه يتخلص مما يعانيه ، وهذا هو حال المحبين.

ويتفانى الشاعر في حب المرأة التي أسرته فيقول :

" أعانق حبها الذي أسرني وأتفانى من أجلها ، تلك التي صنعت سجنى الرهيب " (المصدر نفسه: 89)

صورة المرأة هنا جمعت النقيضين ، فهي محبوبته وهي أسرته في سجن حبها ، واصفا ذلك السجن بالرهيب ، على الرغم من كونه يستعذب أسرها له .

إنّ ترويض النفس سمة أتسم بها المحبون الذين حملوا أنفسهم على الرضا بالقليل ، وهو كثير بنظر العاشق ، ومثل هذا كثير في شعرنا العربي ، فما هو العباس بن الأحنف يرضى بالقليل الأقل :

**وإني ليرضيني قليل نوالكم** **وإن كنت لا أرضى لكم بقليل (بن الأحنف، 1954: 76)**

ويكفيه أن يستقبل نسائم طيفها ليشعر بالراحة :

**إذا استقبلتني الريح من نحو أرضها** **تنشقتها حتى تُرقّ خياشيمي (المصدر نفسه):**

**(95)**

فهو يسأل تلك الريح حمل سلامه إليها ، في صورة تشخيصية بارعة :

**وإني لأستهدي الرياح سلامكم** **إذا أقبلت من نحوكم بهبوب**

**وأسألها حمل السلام إليكم** **فإن هي يوماً بلغت فأجيبني (المصدر نفسه: 26)**

ويصف شاعر التروبادور (أرنوت دي مارويل) تطلّعه إلى خيال محبوبته :

"أدير عيني يا سيدتي النبيلة إلى أرضك ، وأتطلع إلى حيث تسكنين ، وحين لا استطيع القرب منك ، اكتفي بخيالك يسكن قلبي ، وبذكرى شخصك الحلو اللطيف تملأ أفكارى". (ينظر: مراني، 1985: 87)

ويسمو شاعر التروبادور (بالازول) بعاطفته ، فهو وفي مخلص ، يفضل رفضها على كل هبات الأخریات :

" أفضل رفضك اللطيف على جميع هبات الأخریات ، وأؤكد لك أنني لا أستبدل -لاءك- بنعم كل السيدات" (ينظر: المصدر نفسه، 1985: 117)

ويؤكد العباس بن الأحنف بأنه لن يلتفت لغيرها من النساء :

**فما دُونها في الناس للقلبِ مطلبٌ** **ولا خَلْفها في الناس للقلبِ مذهبٌ (بن الأحنف ،**

**1954: 26)**

وأنه مخلص لها في حال الهجر والوصل :

وهو يخاطب لائمتها مؤكدا على مكانة تلك المرأة لديه :

يا فوزُ يا منتهى همِّي وغايته

ويا مُناي ويا سمعي ويا بصري

ما في النساءِ سوى (فوزٍ) لنا أربِّ

فأرضيْ بذلكَ أو عَضِّي على حجرٍ (المصدر

نفسه:140)

نستخلص مما سبق أن التغزل بالمحوبة كان تغزلا يسمو فوق الجسد والمادة وهو تحليق في سماء الحب المطلق الذي لا حدَّ له ولا نهاية ، فيه سمو و جمال يصل إلى أعلى المراتب ، حضور الحبيبة وهي عفيفة له صلة بالسحر الإلهي ، أي بالرغبة في السمو نحو المطلق المنيع ، وإن تصاعد الحب يتم بناءً على جدلية تعزّز أمتة المرأة ، بمقتضى الحب الذي يملكه الشاعر تجاهها، وهذا الحب هو الذي يؤمّثلها حين يقوم بإقصائها ، ونعني بالإقصاء جعل المحبوبة المخلوق الوحيد المتعذر المنال . ( ينظر: لبيب، 1997: 81) .

#### موضوعات شعر الغزل التروبادوري :

أهم الموضوعات الغزلية التي تناولها شعراء التروبادور والتي تقابل سلوك الشاعر في غزله العفيف الذي أتم بضبط العاطفة الإنسانية بكل اندفاعاتها وهي :

1- الحب الموانس : وهو حب فروسي أتم بالقيم النبيلة ، وتمجيد المرأة والخضوع لها ، تجنب فيه الشاعر الإسفاف والابتذال.

2- الحب البعيد (المستحيل) أو صورة الحبيبة المجهولة : وفيه يتحدث الشاعر عن محبوبة لم يرها في حياته يناجيهما واصفا همومه وشدة اشتياقه لرؤيتها، قد تكون القصة ملغزة وقد تكون صريحة ، وهذا النوع يستعمل لمقاصد أخرى ، وقد ظهر هذا النوع عند العرب قبل الأوروبين ووصفه (ابن حزم ت 1046م) في كتابه (طوق الحمامة) بباب اسماء (الحب بالوصف). (ينظر: الأندلسي، 1987: 70)

3- القصيدة (الغجرية) أو قصيدة العجر : وهي قصيدة غزلية يتحدث فيها الشاعر عن لقاء فارس وسيدته في ليل حالك بوجود (الرقيب) أو الصديق الذي يرافقهما ، يستنصران الليل ويشتكيان من طلوع الفجر المبكر ، وقد نظم (ابن قزمان) (ت 555 هـ - 1160م) هذا النوع على شكل زجل ، وغالبا ما يأتي هذا الموضوع (استقصار الليل) ضمن موضوعات القصيدة.

4- الأغنية الرعوية : تخص فتاة ريفية ترعى الغنم ، وتكون غالبا على هيئة حوار بين الراعية والفراس ، وأقدم ما وصلنا منها قصيدة كتبت عام 1150م .

### سمات شعر الغزل التروبادوري :

لقد أتم شعر الغزل التروبادوري بسمات موضوعية كثيرة يجمعها مضمونه الغزلي تحت مظلته ،منها ما يأتي :

1- الخضوع والطاعة : هذه الصورة ظهرت عند شعراء التروبادور مما أثار حفيظة رجال الدين فقد كانت المرأة منبوذة في القرون الوسطى في أوروبا ، وقد جسد شعراء الغزل العفيف ذلك في شعرهم ،وقام (ابن حزم) برصد هذا في باب (الوفاء) وأثنى عليه (ينظر:الأندلسي، ١٩٨٧: 161) وقد ظهر من قبل في العصر الجاهلي في قول عنترة العبسي :

لو كان قلبي معي ما اخترتُ غيركُم  
ولا رضىتُ سواكُم في الهوى بدلا  
لكنه راعبٌ فيمن يمدَّه  
فليس يقبلُ لا لوما ولا عذلا (العبسي  
د.ت: 114)

2- السر والكتمان : فالشاعر يعرض عن ذكر اسم محبوبته ويكتفي بالإشارة إليها أو يرمز لها برموز شتى منها (الفراس الجميل – الجار الطيب) وقد أورد ابن حزم باب (طي السر) في الشعر الأندلسي ، وهو يمثل ما ذكرنا في طي السر والتكتم على اسم المحبوبة. (ينظر:الأندلسي، 1987: 99)

3- ذكر الرقيب أو الواشي أو العاذل أو الكاشح : والرقيب هو الذي يصعب مهمة الفراس الشاعر في لقاء محبوبته فيستبطن حبه بكتمان السر ، وقد أورد ابن حزم بابا للعاذل وبابا للرقيب ومثله للواشي. (ينظر: المصدر نفسه: 116، 122، 126)

4-شكوى المحبوبة، وكثيرا ما يكون الكلام على لسانها في الخرجة في الموشح ،إذ كانت أغلبها على لسان النساء فيما كانت قليلة في الخرجات العربية.

فضلا عن ملامح أخرى كالجزية في الوصف لدى الشاعر والمقارنة بين المحبوبة والنساء الأخريات والشعور بالسعادة المرتبطة بشعور الحب تجاه المحبوبة حتى وإن بدت قاسية متمنعة فنصوص الشاعر التروبادوري لم تشي بالألم والشكوى بل وشت بالسعادة التي فاقت أية سعادة أخرى .

مما سبق أتضح لنا أن شاعر الغزل ( التروبادوري أو العباسي ) غالبا ما ترتبط صورة المحبوبة لديه بالتخييل الشعري العالي لتليق بسماوات فؤاده ، وهذا ما تجلى لنا في أوصاف المرأة المتغزل بها ، فغالبا ما يلجأ الشاعر إلى إذكاء الهوى ، واختراع العقبات بين الحبيبين، وخلق سلسلة من العواطف تجابه بعفة تصاعد الرغبة في نفسه ، فإذا لم تكن العفة موجودة فلن يكون ثمة غزل عذري أو عفيف ( ينظر: لبيب، 1997: 81 ) ، والعفة هنا لا تمثل وازعا دينيا ولا تعبيراً عن ورع وإنما هي تعبير عن احترام مفرط للجمال .

الخاتمة:

أكدت الدراسات السابقة على أن تأثير الشعر العربي في البلاد العربية وبخاصة الأندلس قد ظهر جليا واضحا في الشعر الأوربي الحديث وبخاصة (شعر التروبادور) الذي وقفنا على دراسة جزء يسير منه لاستجلاء مظاهر هذا التأثير بينه وبين نصوص من شعر الغزل العباسي ، ويمكن أن نستخلص ما يأتي:

- 1- لقد استطاع الشعراء التروبادوريون إدخال جميع موضوعات الشعر الأندلسي إلى مجتمعاتهم فطرقوا الغزل العفيف ، وأبدعوا في الحب والوصف ، ووصفوا الطبيعة وشخصوا عناصرها الحية والجمادة ، هذا التفاعل ما هو إلا وجه من أوجه الانفتاح بين الثقافات والشعوب المختلفة .
- 2- أن رسالة ابن سينا ( ت 427هـ - 1037م ) في ماهية العشق قد سبقت أقدم محاولة في أوربا في هذا الجانب وكانت من رجل يدعى (أندرياس دي جابلن) في القرن الثالث عشر الميلادي ، لوجود شبه كبير بين مؤلفيهما ، هذا يدل على أن أندرياس هذا حذو ابن سينا في كتابه.
- 3- تناول الصفات المعنوية من قبل الشعراء في العصر العباسي قد طبع بطابع الرقة وبث لواعج النفس فكان له طابع مميز بسبب امتزاج الثقافات والحضارات، إذ كان تارة يميل للعفة والالتزام وتارة أخرى يميل للحس والمغالاة، وما ورد عن شعراء التروبادور في هذا الجانب لا يتعدى كونه غزلا عفيفا طبع بطابع بينتهم ،وقد سبق إليه شعراؤنا العرب، ولم نلاحظ نصوصا تناولت العفة والحياء لدى شعراء التروبادور ولكننا استشعرناها من خلال غزلهم العفيف .
- 4- ظهرت سمات الشعر التروبادوري متوافقة مع ما ورد في كتاب (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) لأبن حزم الأندلسي (ت456هـ- 1064م) .
- 5- الاستسلام مثل ثيمة واضحة عند شعراء التروبادور أما عند شعراء الغزل العباسي فكان الألم باديا واضحا في نصوصهم .

#### مصادر ومراجع البحث :

- 1- ابن سينا، رسالة في ماهية العشق، مؤسسة هنداوي ، 2017.

- 2- ابن المعتز ،ديوان، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
- 3- الأندلسي ، ابن حزم (ت ٤٥٦ - ١٠٦٤م) ، طوق الحمامة في الألفة والألاف ، حققه وقدم له : صلاح الدين القاسمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الدار التونسية للنشر ، بغداد، ١٩٨٦م .
- 4- بثينة ،جميل،ديوان، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
- 5- بن الأحنف ، العباس ، ديوان، شرح وتحقيق : عاتكة الخزرجي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤م د.ط.
- 6- بن برد ، بشار، ديوان، لناشره ومقدمه وشارحه ومكملة : الأستاذ العلامة محمد الطاهر بن عاشور ، راجعه وصححه : محمد شوقي أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- 7- بن الجهم ،علي،ديوان، عني بتحقيقه : خليل مردم بك، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٠م
- 8- التهامي،أبي الحسن علي بن محمد (ت٤١٦ ) ،ديوان، تحقيق : د. محمد بن عبد الرحمن الربيع ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ٢٠١١، د.ط .
- 9- الثعالبي،النيسابوري ،ابو منصور عبد الملك(ت429هـ)،يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،شرح وتحقيق: د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،ط1، 1403- 1983م.
- 10- الحوفي ، د. أحمد محمد ، الغزل في العصر الجاهلي ، دار القلم، بيروت ،لبنان،د.ت .
- 11- الرضي ، الشريف، ديوان، صححه وقدم له : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ت .
- 12- السراج، الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين، مصارع العشاق ، دار صادر ، بيروت،د.ت.
- 13- عباسية ، محمد،الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور ، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع ، مستغانم ، الجزائر ، ط١، ٢٠١٢.
- 14- عنتره ، شرح ديوان ،الخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد ، ، دار الكتاب العربي ، د.ت .
- 15- لبيب ،الطاهر، سسيولوجيا الغزل العربي ، الشعر العذري أنموذجا، ترجمة : مصطفى المسناوي ، دار الطليعة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- 16- لؤلؤة ، عبد الواحد ،الصوت والصدى ، المؤسسة العربية للنشر، بيروت،ط1، 2005.
- 17- المتنبي ، أبي الطيب، ديوان، شرح ابي البقاء العكبري المسمى بـ ( التبيان في شرح الديوان) – ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، إبراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي.

18- المتنبّي، أبي الطيّب ، ديوان، وضعه :عبد الرحمن البرقوقي،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان ،د. ط

19- مراني، ناجية، الحب بين تراثين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،المكتبة العالمية ، ، بغداد ، ط٢، ١٩٨٥ .

20- المسعودي، أبو الحسن،مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية،ط1، 2005.

21- الميداني دمشقي،عبد الرحمن بن حسن بن حبنكة (ت 1425م البلاغة العربية ، ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ط ١ 1416هـ - 1996م .

#### الرسائل والاطاريح الجامعية :

1 - نميش ، أسناء، الموشحات والأزجال وأثرها في الأدب الأوربي القديم ، شعر التروبادور انموذجا دكتوراه ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية ، جامعة جيلالي لياس سيدي بلعباس ، الجمهورية الجزائرية ، ٢٠١٥-٢٠١٦ .

#### البحوث والمقالات :

1 - عباسة،محمد، مصادر شعر التروبادور الغنائي ، مجلة حوليات التراث ، العدد ١٤ ، ٢٠١٤ .